إنجيل متى ١٣: ٣١ و٣٢

مثل حبة الخردل

تأليف: تومي ساوث

«قدم لهم مثلاً آخر قائلا: يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها إنسان وزرعها في حقله. فهي أصغر جميع البذور، ولكن متى نمت، فهي أكبر البقول، وتصير شجرة حتى إن طيور السماء تأتي وتتآوى في أغصانها» (١٣: ٣١ و٣٢).

أمثال يسوع هي أمثال غير عادية بسبب عذوبتها وبصيرتها. في هذا الأصحاح وحده، نرى ان يسوع وجد عدة طرق ليصف الملكوت. انه يأتي بأوصاف من الزراعة بتكرار، إذ أول الذين كانوا يسمعون أمثاله يمكن ان يوصفوا بمثل هذه المقارنات.

عندما قارن يسوع الملكوت بحبة الخردل، كان ذلك تعبيراً معروفاً يستخدم كمثل في أيامه. ان حبة الخردل ليست «أصغر جميع البذور» بالمعنى الحرفي، ولكن هذا ما كان يقال عنها. استخدم يسوع هذا المثل في مناسبة أخرى، عندما تحدى تلاميذه ان يكون لهم «إيمان مثل حبة خردل»[١]، أي كمية صغيرة. لم تكن حبة الخردل صغيرة فحسب، بل كانت أيضاً خصبة. هذه البزرة الصغيرة تنمو عادة إلى شجرة يبلغ طولها ما بين عشرة إلى خمسة عشر قدماً. يمكن لطيور السماء أن «تتآوى في أغصانها» بالمعنى الحرفي. كانت هذه الفكرة تتناسب مع وصف الملكوت لأن دانيال ٤: ٩-١٢ كان قد تنبأ بان جميع الأمم ستأتي إلى ملكوت الله أخيراً.

الفكرة الأساسية من مثل حبة الخردل هي نمو الملكوت. يوجد في هذا المثل ثلاث أفكار رئيسية.

الصغر

الفكرة الرئيسية الأولى لهذا المثل هي الصغر. لدى الإنسان نزعة للاحتقار والتقليل من اهمية الأشياء الصغرة. نحن نعجب دائماً بما هو أكبر، والأطول، ولكن نادراً ما نتعجب بما هو أصغر. أنت لا تعبر الجسر بفخر إذا كتب عليه: «أقصر جسر في العالم». تصدر مجلة «فورتيون Fortune» الأمريكية قائمة بأسماء الشركات الخمس مئة الأكبر؛ لا يوجد أحد يصدر قائمة بأسماء الخمس مئة الأصغر!

ولكن يأتي عادة أشياء عظيمة من بدايات صغيرة. بدأ أطول بناء في العالم بوضع طوبة واحدة فوق الأخرى. يعتمد لحن بتهوڤن الخامس على لحن رئيسي بسيط لأربع نغمات موسيقية، ومع ذلك فانه أعظم عمل فني. يعلن يسوع بان الملكوت مثل ذلك!

فكر في بداية حياة يسوع. لم تكن ذات أهمية حسب معايير العالم. ولد لأبوين متواضعين في حالة فقر بمدينة منعزلة. وفي ما بعد صار له عدد قليل فقط من الأتباع الحقيقيين، معظمهم مجردين من السلطان والغنى الذي يبدأ عادة الحركات العظيمة. كان الحكام العظماء يجهلونه. ولكن قبل ان ينتهي يوم الخمسين، صار ليسوع حوالي ثلاثة آلاف من الأتباع، وقد إزداد هذا العدد سريعاً بحيث يقدر الآن بالملايين! كتب المؤرخ هـ. غ. ويلس ذات مرة بان يسوع هو «الشخصية المتسيدة في التاريخ ... أي مؤرخ لا يملك أي خلفية

[١] أنظر متى ١٧: ٢٠؛ لوقا ١٧: ٦.

لاهوتية أبداً يجب ان يدرك أنه لا يستطيع ان يشرح تطور الإنسان بصدق دون أن يعطي مكاناً مرموقاً للمعلم الفقير الذي كان من الناصرة». إحدى الحقائق الرائعة حقاً عن ملكوت الله هو انه لا يمكنك ان تحكم من البداية كيف ستكون النهاية. وعد بولس بان تعبنا «ليس باطلاً في الرب» (كورنثوس الأولى ١٥: ٥٨). قد لا نرى النتائج النهائية لجهودنا المبذولة لعمل أشياء عظيمة لله، ولكن لا يعني هذا بانه لا تأتي أشياء عظيمة من تلك الجهود. على سبيل المثال، بعض من الأبطال الحقيقيين «غير المعروفين» (بطولات «غير معروفة»!) يوجد في ملكوت الله الذين يعملون اسبوعاً بعد اسبوع يعلمون الأطفال الكتاب المقدس. وعندما يثبط العزم، يتسألون إذا كان هذا العمل يستحق الجهد. ولكن لا يعرف أي معلم قط انه يعلم الطفل الذي يصير في ما بعد معلماً عظيماً لآخرين. من يدري انهم يعلمون إرسالي المستقبل، أو مبشر أو شيخ الكنيسة؟ قد يكون مجهود المعلم بداية صغيرة حقاً، ولكن هذا لا يعني ان الله لا يستطيع ان يعمل أشياء عظيمة من خلال تلك الجهود.

ينطبق هذا المبدأ نفسه في حياتنا أيضاً. قد نبدأ الحياة المسيحية بغير فعالية؛ قد نشعر بضعفنا الروحي وعدم وفاءنا، ولكن مهما كانت البداية، فالاحتمالات غير محدودة. يمكن ان ينمو الملكوت في حياتنا بالقدرة نفسها المعبر عنها في حبة الخردل.

القوة

الفكرة الرئيسية الثانية هي: القوة. يعلمنا مثل الزارع (متى ١٣: ١-٩ و١٨-٢٣) بان «الأرض» التي زرعت فيها كلمة الله لإنتشار الملكوت هي قلوبنا. حالة قلوبنا، إذا ما كانت «غليظة» أم «محجرة» أم «مليئة بالشوك» أم «جيدة» تحدد الإنتاج الأخير للكلمة فينا. ولكن القدرة على النمو والتغيير لا توجد في الأرض، بل في البذار. انه في داخل البذار تكمن الحياة. ان بذور اللوطس التي تم الحصول عليها في الأهرامات المصرية استطاعت ان تنبت، رغم انها كانت منذ خمس آلاف سنة! هكذا أيضاً كلما وأينما يُقْبَل «بذار»، أي الكلمة تكون له قوة للنمو والتغيير. لهذا السبب فان النمو غير المحدود الذي وصفه يسوع بحبة الخردل ممكناً. القوة التي تغيرنا أو تجعل الملكوت ينمو، لا تكمن في داخلنا، بل هي متأصلة في كلمة الملكوت. لهذا لا يمكن للظروف غير الملائمة ان توقف نمو الملكوت تماماً. قد لا تثمر الكلمة في حياة شخص ما بقدر ما تثمر في حياة شخص آخر (١٣: ٨ و٢٣)، ولكن أينما يقبل الناس الكلمة، فانها ستثمر. برغم ان الكنيسة بدأت في ظروف غير مؤاتية، محصورة بين عداوة {الديانة} اليهودية وبين عدم المبالاة والاضطهاد الأخير من قبل الحضارة الوثنية، إلا انها انتشرت بطريقة مثيرة أبعد من كل التوقعات المحتملة في بدايتها.

أرجو ان لا تثبط عزمك الحالة التي يوجد بها الملكوت في حياتك. ربما تواجه الآن معارضة أو حتى اضطهاد. ولكن إن قدمت لله قلباً أميناً، سيحدث نمواً روحياً، ولا يستطيع أحد ان يمنعه!

الطاقة الكامنة

الفكرة الرئيسية الثالثة لهذا المثل هي الإمكانية أو الطاقة الكامنة. يمثل البذار دائما ما يمكن ان يكون، ليس ما هو عليه الآن. حيثما يوجد الله تكون هناك دائماً إمكانيات عظيمة. ما أعظم هذا الوعد! هذا يعني انه بغض النظر عن كل شيء، يمكنك ويمكنني أيضاً ان نكون أفضل روحياً مما نحن عليه الآن. يرضي معظنا بما هو قليل روحيا. توجد لجميعنا إمكانية ليستخدمها الله، ولكننا دائماً نرضي بالحد الأدنى للعمل فينا. إن كنا غيورين لكي نحسن انفسنا روحياً كما نحن عادة في تحسين انفسنا اقتصادياً! لماذا نرضي ان نكون ضعفاء في الإيمان؟ هل بسبب المعرفة القليلة جداً لكلمة الله القوية؟ هل للخدمة غير المتوقع أحياناً باسمه؟

ان معظم الكنائس مذنبة لانها ترضي بأقل

مما ينبغي. قال شخص ما: «لا يوجد عبء أعظم من إمكانية عظيمة». ما أصدق هذا القول! عندما تكون لدينا إمكانية عظيمة، فانه يتوقع منا أشياء عظيمة، ما إذا كنا رياضيين أم مطربين، أم مسيحيين. ولكن في الكنيسة تكون الإمكانية غير محدودة! «كل شيء مستطاع عند الله»، هكذا يقول قائدنا. كيف نرضي في كثير الأحيان بما هو أقل مما ينبغي إذ لا نسعى إلى النمو المستمر؟ كل كنيسة محلية التي لم تمتد نفسها لتحصل على المزيد، وتخدم أكثر، وتعطي أكثر، وترسل أكثر، إلخ.، فانها لا تتعاون مع الله لكي ترى إمكانيتها.

الخلاصة

يعلمنا هذا المثل عن الصغر، والقوة، والإمكانية في ملكوت الله. أكد لنا يسوع مرة أخرى ان ندرك الإمكانية عندما تكون البداية صغيرة وتتحداها القوة والإمكانية لكي نصير ما يمكن لنا بنعمة الله.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧